الفصل الرابع

الحزب الدينى القومى والمستوطنون المتدينون

obeikandl.com

obeikandl.com

إن أيديولوچية الحزب الدينى القومى وجوش إمونيم، وهى جماعة من المستوطنين المتدينين فى الأراضى الفلسطينية المحتلة بواسطة إسرائيل منذ عام ١٩٦٧م، هى أيديولوچية أكثر حداثة من أيديولوچية اليهود الحريديم. فقد قام الحاخام إبراهام إسحاق كوك، الذى كان رئيس الحاخامات فى فلسطين وأبرز الحاخامات المؤيدين للصهيونية، بابتكار هذه الأيديولوچية فى أوائل العشرينيات وقام بتطويرها بعد ذلك، وكان الحاخام الأكبر كوك، كما كانوا يطلقون عليه، مؤلِّفًا غزير الإنتاج، واعتبره أتباعه ملهمًا من قبل الله. وبعد وفاته فى عام ١٩٣٥م وصل إلى مرتبة القديس فى أوساط الحزب الدينى القومى، كما وصل أيضًا ابنه وخليفته فى زعامة الحزب، الحاخام تسفى يهودا كوك الأصغر، الذى توفى عام ١٩٨١م عن عمر بلغ ٩١ عامًا، إلى منزلة القداسة، ولكن لم يؤلف الحاخام كوك الأصغر أية كتب ولم يحقق الكفاءة التلمودية التى حققها والده، ولكنه كان يمتلك شخصية كاريزمية قوية، ومارس نفوذًا عظيمًا على طلابه، كما قام بالشرح التفصيلى للنتائج السياسية والاجتماعية لتعاليم والده. وقام الحاخامات الذين تخرجوا من مدرسته الدينية فى القدس «مركز هاراف» وظلوا مخلصين لتعاليمه، بتأسيس طائفة يهودية ذات مخطط سياسى محدد. وفى أوائل عام ١٩٧٤م،

وفور صدمة حرب أكتوبر ١٩٧٣م وقبل وقت قليل من توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار مع سوريا، قام أتباع الحاخام كوك مع مباركة وإرشاد زعيمهم الروحى بتأسيس جماعة جوش إمونيم (كتلة المؤمنين). **وكانت أهداف جوش إمونيم تتمثل فى بناء مستوطنات جديدة والتوسع فيما هو موجود من المستوطنات اليهودية فى الأراضى المحتلة. وبمساعدة شيمون بيريز، الذى أصبح فى صيف ١٩٧٤م وزيراً للدفاع والشخص المسئول عن الأراضى المحتلة، نجحت جوش إمونيم فى وقت قصير بلغ بضع سنوات فى تغيير سياسة الاستيطان الإسرائيلية. والمستوطنات اليهودية، التى تواصل الانتشار عبر الضفة الغربية واحتلال جانب كبير من قطاع غزة، تقدم شهادة حية ودليلاً بينًا على نفوذ جوش إمونيم داخل المجتمع الإسرائيلى وعلى السياسات الحكومية الإسرائيلية.**

إن نجاح جوش إمونيم فى تغيير سياسة الاستيطان الإسرائيلية فى السبعينيات يمكن تفسيره سياسيّا، وقد حدد موشيه ديان وزير الدفاع - فى ذلك الوقت - سياسة الاستيطان الإسرائيلية منذ نهاية حرب ١٩٦٧م، وحتى عام ١٩٧٤م، فلم يسمح بإقامة مستوطنات يهودية فى الجانب الأعظم من الأراضى المحتلة، والاستثناء الوحيد الذى قدمه هو سماحه لجماعة صغيرة من المستوطنين اليهود بالإقامة بالقرب من الخليل، وكان ديان يرغب فى تطويق الأجزاء المكتظة بالسكان فى هذه المناطق من خلال خلق منطقة استيطان فى وادى الأردن غير المأهول وفى شمال سيناء «منطقة باميت». ومن أجل الحفاظ على التحالف الإسرائيلى مع

الوجهاء الإقطاعيين الذين كانوا يسيطرون سيطرة قوية على القرى (على الرغم من أن ذلك لم يكن ينطبق على المدن الكبيرة)، تعهد ديان بعدم مصادرة أراضى القرى، وحافظ على وعده فى أغلب الأحوال، **واستعرضت جماعة جوش إمونيم قوتها من خلال تنظيم تظاهرات ضخمة فى عامى ١٩٧٤ و١٩٧٥م تعارض فيها وعود ديان.**

وهذه التظاهرات كانت موجهة أيضًا نحو وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر بسبب تأييده لسياسة ديان.

وقام بيريز، الذى أصبح وزيرًا للدفاع بعد ديان فى عام ١٩٧٤ م فى حكومة رابين الأولى (١٩٧٤ ـ ١٩٧٧م)، بالبدء فى سياسة جديدة سميت بسياسة «التسوية الوظيفية»، والتى أدت إلى حصوله على تأييد جوش إمونيم.

وتبعًا لهذه السياسة فإن الأراضى الموجودة داخل الضفة الغربية وقطاع غزة والتى ليس بها سكان يمكن أن تصادر لحساب اليهود فقط. والزعماء الفلسطينيون السياسيون الذين يوافقون على هذه السياسة يتم منحهم سيادة مطلقة على الفلسطينيين. وتقوم حكومة إسرائيل فقط بالسيطرة على وظائف أساسية معينة فى المناطق الفلسطينية.

عارض رئيس الوزراء الإسرائيلى رابين هذه السياسة فى بادئ الأمر، وفى عام ١٩٧٥م، تآمر بيريز مع جوش إمونيم ووضع استراتيجية للوقوف فى وجه معارضة رابين، وقامت جماعة جوش إمونيم بتنظيم حشود جماهيرية ضخمة فى سباستيا، وهى محطة سكك حديد

مهجورة بالقرب من نابلس، حاول رابين منع المظاهرة، ولكن نجح متظاهرو جوش إمونيم فى الالتفاف حول حواجز الطرق التى وضعها الجيش وتجمعوا فى سباستيا. وخلال فترة التفاوض المطولة قدم بيريز بعض المساندة لجوش إمونيم، ووصل المزيد من المتظاهرين إلى المكان، وفى النهاية، تم التوصل إلى تسوية متمثلة فى مستوطنة تمنح لجوش إمونيم، فسمح لأعضاء جوش إمونيم بالاستيطان فيما يطلق عليه الآن «قيدوميم». وبنفس الطريقة قامت جماعة جوش إمونيم فى عام ١٩٦٧م بمساعدة بيريز بإنشاء مستوطنة «عفرا» كمعسكر عمل مؤقت ومستوطنة «شيلو» كمعسكر أركيولوچى مؤقت. وقامت جماعة جوش إمونيم أيضًا باتباع سياسات مشابهة، وبدأت بناء المستوطنات فى قطاع غزة، ومستوطنات جوش إمونيم، التى وافق عليها بيريز فى ١٩٧٥ و١٩٧٦م لا تزال توجد وتزدهر، وبعد انتخاب مناحم بيجن كرئيس للوزراء فى عام ١٩٧٧م، عقد «تحالف مقدس» بين جماعة جوش إمونيم الدينية والحكومات الإسرائيلية العلمانية المتعاقبة واستمر حتى اليوم.

بعد نجاح سياسة الاستيطان، قام حاخامات جوش إمونيم بحياكة عدد من المؤامرات السياسية، وكانوا قادرين على فرض سيطرتهم على الحزب الدينى القومى (NRP). ومنذ منتصف الثمانينيات سار الحزب على هدى النهج الأيديولوچى لجماعة جوش إمونيم، وبعد وفاة الحاخام كوك الأصغر، انتقلت القيادة الروحية للجماعة إلى مجلس حاخام شبه سرى يتم اختياره بواسطة معايير مغرقة فى الغموض من بين الأتباع

المقربين للحاخام كوك. وواصل هؤلاء الحاخامات اتخاذ قرارات السياسة بناء على إيمانهم بعناصر أيديولوچية معينة مبتدعة لا يتم الدفاع عنها أو شرحها بالتفصيل على نحو علنى، ولكنها تشتق من تفسيرهم الخاص للتصوف اليهودى المشهور باسم القبالاة.

تعتبر كتابات الحاخام كوك الأكبر نصوصًا مقدسة، وربما تكون أكثر غموضًا حتى من كتابات القبالاه الأخرى، والمعرفة المتعمقة بالكتابات التلمودية وكتابات القبالاه، بما فى ذلك التفسيرات المعاصرة لكلتيهما، وكذلك الممارسة الخاصة، تعتبر شروطًا أساسية لفهم كتابات كوك.

ومضامين كتابات كوك تعتبر مبتدعة تمامًا من الناحية اللاهوتية على نحو يجعل من الصعب فهمها بالنسبة لليهود المثقفين، ناهيك عن عامة اليهود. وهذا هو السبب فى عدم ظهور الكثير من التحليلات لأيديولوچية جوش إمونيم، والتحليل المهم والوحيد المعروف هو تلك الدراسة التى قام بها البروفيسور أوريل تال، والتى نشرت بالعبرية فى صحيفة «هاآرتس» بتاريخ ٢٦ سبتمبر ١٩٨٤م، كما نشرت بعد ذلك بالإنجليزية فى مجلة القدس الفصلية (العدد ٣٥، ربيع ١٩٨٥م) بعنوان: **«تأسيس الاتجاه المسيانى السياسى فى إسرائيل»**.

وعلى الرغم من أن دراسة تال أفسدتها إلى حد ما الرطانة السوسيولوچية وبعض القياسات غير المتوائمة مع موضوعها، فإنها تعتبر أكثر التحليلات قيمة فى هذا الصدد حتى اليوم، وهناك العديد من الدراسات الجيدة نسبيًا والمكتوبة بالعبرية، والتى تتناول جوانب أكثر

دنيوية لجماعة جوش إمونيم ظهرت فى صورة كتب، والدراسة الوحيدة بالإنجليزية هى كتاب إيان لوستيك، بعنوان «**من أجل الأرض ومن أجل الله: الأصولية اليهودية فى إسرائيل**» ١٩٨٨م. والذى دفع لوستيك لعمل كتابه، هو فضيحة تجسس جوناثان پولارد، وبدأ كورقة بحث مكتوبة لوزارة الدفاع الأمريكية. وربما يفسر ذلك التركيز الزائد للكتاب على المواقف السياسية المتغيرة لجماعة جوش إمونيم وإغفاله النسبى لأجزاء مهمة من الأيديولوچية. وعلى نحو يتناقض مع عنوان الكتاب، يحتوى الكتاب على القليل من الوصف أو التفسير للأصولية اليهودية. علاوة على ذلك، فإن هذا الكتاب يأخذ موقفًا تبريريًا منحازًا، حيث إن الجوانب الأكثر تطرفًا لمعتقدات وتعاليم جوش إمونيم لم يتم الكشف عنها بدقة، وبعض ما هو مفقود فى كتاب لوستيك يمكن أن نجده لحسن الحظ فى الفصل المسمى «اليهودية القومية» بكتاب يهوشافات هاركابى «ساعة إسرائيل المحتومة»، (١٩٨٨م). والمناقشة التالية لأفكار وسياسات جوش إمونيم سوف تأخذ فى اعتبارها تحليلى لوستيك وهاركابى، ولكنها سوف تعتمد أكثر على دراسة تال وكتابات عبرية أخرى.

إن منزلة غير اليهود فى القبالاه مقارنة بمنزلتهم فى الكتابات التلمودية هى نقطة انطلاق جيدة للمناقشة، ومعظم المؤلفين اليهود الكثيرين الذين كتبوا عن القبالاه بالإنجليزية والألمانية والفرنسية، إما أنهم تجنبوا هذا الموضوع أو أخفوا جوهره تحت سحب كثيفة من التعميمات المضللة. وقام هؤلاء المؤلفون، والذين كان جيرشون شوليم واحدًا من أبرزهم،

باستخدام حيلة تتمثل فى استخدام كلمات مثل «الرجال» و«البشر» و«الكون» من أجل الإشارة على نحو غير صحيح إلى أن القبالاه تقدم الطريق الذى يؤدى إلى خلاص كل البشر، والحقيقة المجردة هى أن نصوص القبالاه، على نحو يتناقض مع الكتابات التلمودية، تؤكد على خلاص اليهود فقط. والكثير من الكتب التى تعالج القبالاه والمكتوبة بالعبرية بخلاف تلك التى كتبها شوليم، تقدم وصفًا أمينًا للخلاص وقضايا يهودية حساسة أخرى. وهذه النقطة معبر عنها على نحو جيد فى الدراسات الأحدث والأكثر تأثيرًا من مدارس القبالاه والمسماة اللوريانية، التى تأسست فى أواخر القرن السادس عشر، وسميت باسم مؤسسها الحاخام إسحاق لوريا.

وقد تأثر النهج اللاهوتى للحاخام كوك الأكبر بأفكار الحاخام لوريا إلى حد بعيد، ولا تزال هذه الأفكار متضمنة فى أيديولوچيات جوش إمونيم والحسيدية.

ويقول إشعياء تشبى، المرجع فى القبالاه، فى عمله البحثى المكتوب بالعبرية والمسمى «نظرية الشر والكرة الشيطانية فى القبالاة اللوريانية» (الصادر عام ١٩٤٢م، والمعاد طبعه فى عام ١٩٨٢م): «**من الواضح تمامًا أن بشائر وطريق الخلاص يقصد بها اليهود فقط**».

وقد استشهد تشبى بالحاخام حاييم فيتال، المفسر الأساسى لكتابات الحاخام لوريا، الذى كتب فى كتابه المسمى «بوابات القداسة» يقول:

«إن قوة الفيض، تبارك اسمه، شاء أن يكون هناك شعب على هذه الأرض يجسد جوانب الفيض الإلهى الأربعة. وهذا الشعب هو اليهود الذين اختيروا لكى يجمعوا معًا العوالم الإلهية الأربعة هناك على الأرض». ويستشهد تشبى أيضًا بكتابات فيتال للتأكيد على المذهب اللوريانى الذى يقول إن غير اليهود لديهم أرواح شيطانية:

«إن أرواح غير اليهود تأتى جميعًا من الجانب المؤنث من الكرة الشيطانية، ولهذا السبب فإن أرواح غير اليهود هى شر، وليست خيرًا، وخلقت دون علم إلهى»، وفى كتابه الكاشف المكتوب بالعبرية المسمى «الحاخامية والحسيدية والتنوير: تاريخ الثقافة اليهودية بين نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن التاسع عشر ١٩٥٦م»، يشرح بن صهيون كاتس على نحو مقنع كيف أن المعتقدات المشار إليها أصبحت جزءًا من الحسيدية، وهناك أوصاف دقيقة للمعتقدات اللوريانية وتأثيرها الواسع على اليهود المتدينين يمكن العثور عليها فى العديد من الدراسات الأخرى المكتوبة بالعبرية. ولكن فى الكتب والمقالات المكتوبة بلغات أخرى، والتى تقرأ بالتالى بواسطة اليهود غير الإسرائيليين وغير اليهود المهتمين بالموضوع، نجد أن هذه الأوصاف والتحليلات غائبة فى الغالب، ودور الشيطان، الذى يتجسد -تبعًا للقبالاه- فى كل ما هو غير يهودى، تم إنقاصه إلى أدنى حد أو لم يذكر بواسطة المؤلفين الذين لم يكتبوا عن القبالاه بالعبرية، وعلى ذلك فإن هؤلاء المؤلفين لم ينقلوا إلى القرّاء

تحليلات دقيقة كسياسات الحزب الدينى القومى ولا قلبه النابض الممثل فى جماعة جوش إمونيم.

وهناك تصوير حديث ومؤثر عن الاتجاهات المشار إليها نجده واضحًا فى تعاليم وكتابات الحاخام مناحم مندل شنرسون، الذى رأس حركة «شاباد» ومارس نفوذًا عظيمًا على الكثير من اليهود المتدينين فى إسرائيل والولايات المتحدة، وكان أيضًا من أتباع الحاخام لوبوفيتشر (مؤسس الطريقة اللوبوفيتشرية). فعلى الرغم من أن شنرسون وأتباعه من أصحاب الطريقة اللوبوفتشرية هم من الحريديم، إلا أنهم منخرطون فى الحياة السياسية الإسرائيلية العامة، ويشاركون جماعة جوش إمونيم والحزب الدينى القومى الكثير من المفاهيم. وأفكار الحاخام شنرسون المشار إليها فيما يلى مأخوذة من كتاب يضم رسائله إلى أتباعه فى إسرائيل والمسمى «مجموعات المحاورات» والذى نشر فى الأراضى المقدسة عام ١٩٦٥م. وأثناء العقود الثلاثة التالية وحتى وفاته، ظل الحاخام شنرسون عند رأيه ولم يغير أيًا من أفكاره، وما قاله الحاخام شنرسون سرعان ما أصبح معتقدًا حسيديًا لوبوفتشريًا رسميًا.

وفيما يتعلق بغير اليهود، كانت آراء الحاخام اللوبوفتشرى واضحة تمامًا على الرغم من أنها كانت غير مرتبة بعض الشىء:

«فى الشريعة اليهودية، وحسبما جاء فى التلمود، فإن غير اليهودى يجب أن يعاقب بالموت إذا قتل جنينًا، حتى لو كان هذا الجنين غير

يهودى، بينما لا يعاقب اليهودى، حتى لو كان الجنين الذى قتله يهوديّا.

فكما نعرف نحن «حكماء التلمود» من سفر الخروج ٢٢ : ٢١، حيث تبدأ الآية بكلمات «وأى أذى يتبع ذلك». وهذه الآية المستشهد بها هى جزء من فقرة تبدأ بالآية ٢١، وتصف ما الذى يجب أن يحدث «إذا تعارك رجال وآذوا امرأةحامل» وهذا يؤدى إلى سقوط الجنين. والآية ٢٢، التى تم الاستشهاد ببدايتها تقول: «وإذا تبع ذلك أذى فإنك تعطى نفسًا مقابل نفس» (بعض الترجمات الإنجليزية تستخدم صياغة «حياة مقابل حياة» بدلاً من «نفس مقابل نفس»)». والفارق السابق الخاص بعقاب اليهودى وغير اليهودى لنفس الجريمة شائع فى التلمود والهالاخاه. ويواصل الحاخام اللوبوفتشرى قائلاً:

فالفرق بين الشخص اليهودى وغير اليهودى ينبع من التعبير الشائع: «دعنا نفرق» وعلى ذلك، فإننا ليست لدينا حالة من الفارق الجوهرى يكون فيها شخص ما فى مستوى متفوق. ولكننا لدينا حالة ملخصها «دعنا نفرق» بين الأجناس التى هى مختلفة كلية، وهذا هو ما نحتاج إلى قوله عن الجسد، فجسد اليهودى ذو نوعية مختلفة تمامًا عن جسد أىّ من أفراد أمم العالم.. والحاخام الكبير «وهو مصطلح يشير إلى أحد الحاخامات المقدسين التابعين للوبوفيتشر» يشرح ذلك فى فقرة من فقرات الفصل التاسع والأربعين من «الهاتانيا» (وهو الكتاب الأساسى للشاباد) بقوله: «**وأنت قد اخترتنا**» (أى اليهود)، بمعنى أن الجسد اليهودى تم اختياره (بواسطة الله)؛ لأن الاختيار يتم بين أشياء متشابهة ظاهريّا،

فالجسد اليهودى «يبدو فى ظاهره كما لو كان مشابهًا لأجساد غير اليهود». ولكن المعنى هو أن الأجساد تبدو متشابهة فقط فى المادة وفى الشكل الخارجى وفى النوعية السطحية. والفرق الخاص بالقيمة الداخلية، مع ذلك، هو فرق عظيم لدرجة أن الأجساد يجب أن تعتبر أجناسًا مختلفة تمامًا. وهذا هو السبب فى أن التلمود يقول إن هناك تمايزًا فى موقف الهالاخاه من أجساد غير اليهود (باعتبارها طرف نقيض لأجساد اليهود)... **«أجسادهم لا احترام لها»**.. وهناك فارق أكبر يتعلق بالروح. فهناك نوعان متناقضان من الروح، **الروح غير اليهودية التى تأتى من ثلاث دوائر شيطانية، والروح اليهودية التى تنبع من القداسة.**

وكما أشرنا من قبل فإن الجنين يعتبر إنسانًا؛ لأن له جسدًا وروحًا، وعلى ذلك فإن الفرق بين الجنين اليهودى والجنين غير اليهودى يمكن إدراكه. وهناك أيضًا فرق فى الأجساد، فجسم الجنين اليهودى هو فى مرتبة أعلى من جسد الجنين غير اليهودى، وهذا يعبر عنه من خلال عبارة «دعنا نفرق» بشأن جسم غير اليهودى الذى هو من نوع مختلف تمامًا. **ويوجد نفس الفرق بالنسبة للروح: فروح الجنين اليهودى تختلف عن روح الجنين غير اليهودى.**

وعلى ذلك نتساءل: لماذا تجب معاقبة غير اليهودى إذا قتل حتى جنينًا غير يهودى بينما لا تجب معاقبة اليهودى حتى لو قتل جنينًا يهوديًا؟ ويمكن فهم الإجابة من خلال النظر إلى الفرق العام بين اليهود وغير

اليهود: فاليهودى لم يخلق كوسيلة لتحقيق غاية أخرى، وإنما هو فى حد ذاته غاية، بما أن مادة كل الفيض الإلهى قد خلقت فقط لخدمة اليهود.

«فى البداية خلق الله السموات والأرض» (التكوين: ١: ١) وهذا يعنى أن (السموات والأرض) خُلقت من أجل اليهود، الذين هم «البداية» وهذا يعنى أن كل شىء، كل التطورات، كل الاكتشافات، كل الخلق، بما فى ذلك «السموات والأرض» هى لا شىء مقارنة باليهود. فاليهود هم أهم الأشياء؛ لأنهم لم يوجدوا لأية غاية (أخرى)، فهم فى حد ذاتهم غاية (إلهية)!!

وبعد المزيد من ا لتفسيرات القبالاية، يصل الحاخام اللوبوفيتشرى إلى أنه:

«بناء على كل ما قلناه بالفعل، يمكننا أن ندرك لماذا تجب معاقبة غير اليهودى بالموت إذا قتل جنينًا، ولماذا لا تجب معاقبة اليهودى بالموت. إن الفرق بين الجنين والطفل المولود هو أن الجنين ليس واقعًا مستقلاً بذاته ولكنه تابع، فهو إما تابع لأمه أو للواقع الذى يخلق بعد الميلاد حينما يتحقق الهدف الإلهى من خلقه. والواقع الكامل لغير اليهودى هو مجرد لغو. «ويقف الأغراب ويرعون غنمكم» (إشعياء ٦١: ٥) (وهناك ترجمة أخرى تقول: «ويقوم الغرباء على رعاية قطعانكم، وأبناء الأجانب يكونون لكم حراثًا وكرامين» (إشعياء ٦١: ٥»).

فالخلق بأكمله (لغير اليهود) يوجد فقط من أجل اليهود. ولهذا فإن غير اليهودى يجب أن يعاقب بالموت إذا قتل جنينًا، بينما اليهودى الذى

وجوده أكثر أهمية، يجب ألا يعاقب بالموت بسبب شيء ثانوى. إننا يجب ألا ندمر شيئًا أساسيًا من أجل شيء ثانوى. وصحيح أن هناك تجريمًا لإيذاء الجنين؛ لأنه شيء سوف يولد فى المستقبل ويوجد حاليًا فى شكل مخبوء. فعقوبة الموت يجب أن تطبق فقط حينما تتأثر أمور مرئية، وكما أشرنا من قبل، فإن الجنين له فقط أهمية ثانوية».

ظهر الكثير من التعليقات والملخصات الجزئية للآراء الواردة هنا، ولكن بتركيز غير كاف فى الصحافة الإسرائيلية العبرية. ففى عام ١٩٦٥م، حينما تم نشر ذلك، كان الحاخام اللوبوفتشرى متحالفًا مع حزب العمل، وحصلت حركته على الكثير من المنافع المهمة من الحكومة الموجودة فى السلطة فى ذلك الوقت، وكذلك من الحكومات الإسرائيلية السابقة. فقد حصل اللوبوفتشريون، على سبيل المثال، على استقلال نظامهم التعليمى داخل سياق التعليم الدينى للدولة، وفى منتصف السبعينيات قرر الحاخام اللوبوفتشرى أن حزب العمل معتدل أزيد من اللازم، ولذلك قام بتحويل الدعم السياسى لحركته فى بعض الأحيان إلى الليكود، وفى أحيان أخرى إلى أحد الأحزاب الدينية. وكان آرييل شارون هو الزعيم السياسى المفضل للحاخام. وقام شارون بدوره بالثناء عليه علنًا وألقى خطابًا مطولاً فى الكنيست يؤبنه فيه بعد وفاته، **ومنذ حرب يونيو ١٩٦٧م وحتى وفاته كان الحاخام اللوبوفتشرى يؤيد دائمًا الحروب الإسرائيلية، ويعارض أى انسحاب من الأراضى العربية المحتلة.**

وفى عام ١٩٧٤م قام بالاعتراض بقوة على الانسحاب الإسرائيلى من منطقة الدفرسوار، التى تمت السيطرة عليها خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣م،

وتعهد لإسرائيل بأن تحصل على عطايا إلهية إذا استمرت فى احتلال هذه الأرض. وبعد وفاته لعب الآلاف من أتباعه الإسرائيليين، الذين استمروا فى اعتناق أفكاره السابقة الإشارة إليها، دوراً مهمّا فى انتصار نتنياهو الانتخابى من خلال التظاهر عند العديد من تقاطعات الطرق قبل يوم الانتخابات، حيث تغنوا بالشعار القائل: «نتنياهو الأصلح لليهود». وعلى الرغم من اجتماعه بعرفات وتوقيعه اتفاقية الخليل، والموافقة على انسحاب ثان، ظل أتباع الحاخام يواصلون تفضيلهم لحكومة نتنياهو.

وبين المستوطنين المتدينين فى الأراضى المحتلة يشكل حسيديو الشاباد إحدى أكثر المجموعات تطرفًا. وكان باروخ جولدشتاين، الذى قام بمذبحة القتل الجماعى للفلسطينيين، واحداً منهم (سوف تتم مناقشة موضوع جولدشتاين فى الفصل السادس).

والحاخام إسحاق جينسبرج، الذى كتب فصلاً فى كتاب يمدح جولد شتاين وما اقترفت يداه، هو عضو آخر فى هذه الجماعة. وجينسبرج هو الناظر السابق لمدرسة ضريح يوسف الدينية، التى توجد فى ضواحى نابلس، وكان الحاخام جينسبرج، الذى جاء فى الأصل إلى إسرائيل من الولايات المتحدة ولديه علاقات جيدة بالمجتمع اللوبوفتشرى فى الولايات المتحدة، يعبر عن أفكاره غالبًا بالإنجليزية فى المطبوعات اليهودية الأمريكية. وقد جاء ما يلى عنه فى يوم ٢٦ أبريل ١٩٩٦م فى مقال بجريدة «الأسبوع اليهودى» التى تصدر فى نيويورك، فى مقابلة معه

باعتباره أحد أركان الطائفة اللوبوفتشرية المتبحرين فى التصوف اليهودى. يتحدث الحاخام، الذى نشأ فى سانت لويس، والذى حصل أيضًا على شهادة فى الرياضيات، بحرية عن التفوق الروحى اليهودى على غير اليهود. كما يؤكد أيضًا أن هذا التفوق يجعل الحياة اليهودية أعظم قيمة بمنظور توراتى. فيقول الحاخام جينسبرج: «إذا شاهدت شخصين يشرفان على الغرق، أحدهما يهودى والآخر غير يهودى، فإن التوراة تقول يجب عليك أن تنقذ اليهودى أولاً» وأضاف قائلاً: «إذا كانت كل خلية بسيطة فى الجسد اليهودى تحتوى على ألوهية، فهى جزء من الله، وبذلك فإن كل ضرب من ضروب الحمض النووى الأمينى (DNA) هو جزء من الله، ولهذا فإن هناك شيئًا ما مميزًا فى الأحماض النووية الأمينية اليهودية». وبعد ذلك يتساءل الحاخام جينسبرج على نحو بلاغى قائلاً: «إذا كان هناك يهودى يحتاج إلى كبد، فهل يمكنك أن تأخذ كبد شخص غير يهودى برىء يمر بالصدفة من أجل إنقاذه؟ إن التوراة تجيز ذلك، فالحياة اليهودية لا تقدر بثمن». ويشرح ذلك قائلاً: «إن هناك شيئًا ما أكثر قداسة وتفردًا بشأن الحياة اليهودية أكثر من الحياة غير اليهودية».

إن تغيير كلمة «اليهودى» إلى «الألمانى» أو«الآرى» وكلمة «غير اليهودى» إلى «اليهودى» يحول موقف جينسبرج إلى المذهب الذى أدى إلى أوسشفيتس. فقد اعتمد نجاح النازى الألمانى بدرجة كبيرة على هذه الأيديولوچية، وعلى مضامينها التى لم يتم التعرف عليها مبكرًا على

نطاق واسع. وبصرف النظر عن النطاق المحدود للآثار المحتملة للمسيانية، فإن الأيديولوچية اللوبوفتشرية وأيديولوچيات أخرى يمكن أن تثبت أنها كارثة.

إن الاختلاف فى المواقف المتعلقة بغير اليهود فى الهالاخاه والقبالاه يمكن التعبير عنه على نحو جيد من خلال الاختلاف المعبر عنه بخصوص غير اليهود الذين اعتنقوا اليهودية. فالهالاخاه، على الرغم من أنها تميز ضدهم على نحو ما، فإنها تعامل المتحولين إلى اليهودية على أنهم يهود جدد، والقبالاه تكون غير قادرة على تبنى هذا المنهج؛ لأنها تؤكد على الفرق الكونى بين اليهود وغير اليهود. وتشير القبالاه إلى أن المتحولين إلى اليهودية هم أرواح يهودية أودعت أولاً فى أجساد غير يهودية كنوع من العقاب، وبعد ذلك أعتقت من خلال التحول إلى اليهودية، إما بسبب أن العقاب انتهى أو بسبب شفاعة رجل مقدس. وهذا التفسير هو جزء من إيمان القبالاه بتناسخ الأرواح، وهو اعتقاد غائب فى الهالاخاه. وتبعًا للقبالاه، **فإن الروح الشيطانية لا يمكن أن تتحول إلى روح إلهية بمجرد الاقتناع.**

إن المناقشة المطلوبة لأفكار وسياسات جوش إمونيم تضع فى اعتبارها دراسات لوستيك وهاركابى، ولكنها تعتمد بشكل أساسى على مواد المصادر الأولية، وتحليلات تال وكتّاب آخرين يكتبون بالعبرية. وقام تال بوصف وتحليل مبادئ جوش إمونيم من خلال استشهاد على نحو موسع بكتابات الحاخام يهودا أميتال، وهو أحد زعماء جوش إمونيم البارزين،

والذى تم تعيينه وزيراً بدون حقيبة فى الحكومة الإسرائيلية فى نوفمبر ١٩٩٥م، بواسطة بيريز الذى كان يشغل منصب رئيس الوزراء، واستمر فى هذا المنصب حتى يونيو ١٩٩٦م. ووصف بيريز أميتال على أنه معتدل. وعند شرح وجهات نظر أميتال، قام تال بالاعتماد بشكل أساسى على مقاله المنشور بعنوان «عن أهمية حرب أكتوبر (١٩٧٣م)». ومن أجل التعبير عن تأكيد أميتال على الحنين الروحى والتيار المسيانى-السياسى للفكر، قام تال بالاستشهاد بما يلى:

«اندلعت الحرب فى اتجاه معاكس لإعادة بعث مملكة إسرائيل، والتى هى فى شكلها الميتافيزيقى (وليس الرمزى فقط) دليل على انحطاط روح التدنس فى العالم.. فالأغيار يحاربون من أجل بقائهم كأغيار، وكغير أطهار. الإثم يخوض معركته من أجل البقاء، وهو يعرف أن حروب الله ليس بها مكان للشيطان، ولا لروح الدنس، أو لرفات الحضارة الغربية، والتى يناصرها دائمًا اليهود العلمانيون».

ثم قام تال بتفسير أفكار أميتال وكذلك أفكار جوش أمونيم الأساسية:

«إن العالم العلمانى المعاصر، تبعًا لهذا النهج، فى صراع من أجل البقاء، ولذلك فإن حربنا موجهة ضد دنس الحضارة الغربية وضد العقلانية أينما وجدت». وتبعًا لذلك فإن هذه الحضارة الأجنبية يجب أن تجتث من جذورها؛ لأن كل الأجانب يجروننا أكثر نحو التغريب

والتغريب يؤدى إلى الانعزال، كما هو حادث بالنسبة لأولئك الذين ما زالوا يلتصقون بالحضارة الغربية، والذين يحاولون دمج اليهودية فى الحضارة العقلانية التجريبية والديموقراطية.

وبناء على منهج أميتال، فإن حرب أكتوبر يجب أن تستوعب من خلال بعدها المسيانى، ألا وهو صراع ضد الحضارة بكليتها.

وواصل تال مناقشته لكى يسأل أميتال سؤالاً خطيراً متعدد الوجوه: «ما سبب كل هذا البلاء؟ ولماذا تستمر الحروب، إذا كان المسيح قد جاء بالفعل وإذا كانت مملكة إسرائيل تم تأسيسها؟»

وأجاب أميتال قائلاً: «**إن الحرب تبدأ عملية التطهير والتنقية والتنظيف لشعب إسرائيل**». وواصل تال مناقشته قائلاً: «إننا نعلم إذن أن هناك تفسيراً واحداً للحروب: فهى تهذب وتنقى الروح. فعندما يتم التخلص من الدنس، تصبح روح إسرائيل - بفضل الحرب - نقية. إننا قمنا بالفعل بغزو الأرض، وكل ما تبقى الآن هو أن نقوم بغزو الدنس».

قام أتباع الحاخامين كوك (الأب والابن) بتطبيق المفاهيم السابقة على كل الحروب الإسرائيلية الأخرى. وقام الحاخام شمرياهو أريلى، على سبيل المثال، بالإشارة إلى أن حرب ١٩٦٧م كانت «تحولاً ميتافيزيقيّا» وأن الانتصارات الإسرائيلية حولت الأرض من قوة للشيطان إلى دائرة إلهية. وهذا يثبت أن «**الحقبة المسيانية**» جاءت. كما استشهد تال أيضًا بتعاليم الحاخام إى هداية: «**إن فتوحات ١٩٦٧م حررت الأرض من**

قبضة الجانب الآخر (اسم مهذب للشيطان)، ومن القوة الأسطورية التى تجسد الشر والدنس والفساد الأخلاقى. فنحن (اليهود) ندخل إلى حقبة تسيطر فيها السيادة المطلقة على المادية».

ويؤكد تال أن هذه العبارات تنطوى على تحذير بأن أى انسحاب إسرائيلى من الأراضى التى تم منحها سوف يكون له عواقب ميتافيزيقية يمكن أن تؤدى إلى استعادة الشيطان لسلطانه على هذه الأراضى. وعبر زعماء آخرون لجوش إمونيم بشكل مباشر وغير مباشر عن نفس الأفكار فى تصريحاتهم العلنية وكتاباتهم.

لم يعد هناك إلا قليل من الشك فى أن جوش إمونيم قد أثرت بدرجة خطيرة على الزعماء اليهود الإسرائيليين المتدينين وعلى عامة الشعب. وأثناء الغزو الإسرائيلى للبنان، على سبيل المثال، تأثر الحاخامات العسكريون فى إسرائيل على نحو واضح بأفكار الحاخامين كوك وحثوا جميع الجنود الإسرائيليين على اتباع خطى يشوع وإعادة احتلال أرض فلسطين، وتضمن هذا الحث على اقتلاع السكان غير اليهود.

وقام الحاخامات العسكريون بنشر خريطة للبنان تم تغيير أسماء المدن اللبنانية فيها إلى الأسماء الواردة فى كتاب يشوع، فتم تغيير اسم بيروت على سبيل المثال، إلى «بئروت» واعتبرت الخريطة لبنان أرضًا تنتمى إلى قبائل إسرائيل الشمالية القديمة، آشر ونفتالى.

وكما كتب تال: «أكد تواجد إسرائيل العسكرى فى لبنان إلى التأكيد على وعد الكتاب المقدس الوارد فى سفر «التثنية ١١ : ٢٤» «يطرد الرب

جميع تلك الأمم من أمامكم فترثون شعوبًا أكبر وأعظم منكم، وكل موضع تطأه أقدامكم يصبح لكم فتكون حدودكم من الصحراء فى الجنوب إلى لبنان، ومن نهر الفرات إلى البحر»

ونظر أتباع الحاخامين كوك إلى لبنان على أنها فى مرحلة خلاص من قبضة الشيطان، ومما يعنى قتل سكانها عبر هذه العملية.

وهذه الرؤية ليست استثنائية، فهى ذات عناصر عديدة موازية لها قديمة ومعاصرة، دينية وعلمانية. ففكرة تطهير الأرض من الشيطان ومن الإثم الذى يغضب الله، عن طريق القتل، هى فكرة شائعة. ففى الفصل المعنون باسم «طقوس العنف» فى كتابها المسمى «المجتمع والثقافة فى فرنسا المعاصرة المبكرة»، قامت ناتالى زد دافيس بتقديم نفس الفكرة باعتبارها **إلباس ثوب المنطق للمذابح التى ارتكبتها فرنسا فى النصف الثانى من القرن السادس عشر!.**

وفى كتابه الممتاز، المعنون باسم «السعى نحو العصر الألفى» يقوم نورمان كوهين بمناقشة الحركات الدينية المسيحية التى كانت تسعى إلى استخدام العصر الألفى، «وهو العصر الألفى السعيد الذى يحكم فيه المسيح الأرض» بالقوة مما أدى إلى موت الكثير من البشر.

هناك ثلاثة تعليقا ت تفسيرية ومرتبطة ببعضها البعض تتعلق بتحليل تال لجماعة جوش إمونيم يجب تقديمها. أولاً: أن الحاخامات المستشهد بهم باعتبارهم حجة فى الديانة اليهودية، سواء من خلال تال أو من

خلال مؤلفى هذا الكتاب، ليسوا حاخامات مغمورين أو مهمّشين، بل هم شخصيات إسرائيلية بارزة. **وكما أشرنا من قبل، اعتبر شيمون بيريز أحدهم وهو الحاخام أميتال، معتدلاً ومنحه منصب وزير بدون حقيبة.**

ثانيًا: كان تال قادرًا على فهم الخلاصة الحقيقية لما كان يطلق عليه «**الاتجاه المسيانى السياسى**» كما أن خبرته فى مجال النازية الألمانية، وخاصة فى الأيديولوجية النازية ومصادرها، ساعدته بالتأكيد فى دراسته لجماعة جوش إمونيم. (انظر كتاب تال الصادر بالعبرية بعنوان «اللاهوت السياسى والرايخ الثالث»، مطبعة جامعة تل أبيب، ١٩٨٩م). **إن أوجه الشبه بين الاتجاه المسيانى السياسى اليهودى والنازية الألمانية ساطعة كالشمس فى كبد السماء. فالأغيار بالنسبة لأصحاب الاتجاه المسيانى هم فى منزلة اليهود بالنسبة للنازيين.** كما أن كراهية الحضارة الغربية بعناصرها العقلانية والديموقراطية تمثل أمرًا مشتركًا بين الحركتين. وفى النهاية، فإن الشوفينية المتطرفة لأصحاب المذهب المسيانى موجهة نحو كل غير اليهود. **وكانت حرب أكتوبر ١٩٧٣م، على سبيل المثال، من وجهة نظر أميتال، ليست ضد المصريين أو السوريين أو كل العرب، ولكنها ضد كل غير اليهود، ولذلك فإن الحرب كانت موجهة ضد الغالبية العظمى من مواطنى الولايات المتحدة، حتى على الرغم من مساعدة الولايات المتحدة لإسرائيل فى تلك الحرب. وهذا البغض لغير اليهود ليس جديدًا، كما أشرنا إلى ذلك من قبل، فهو نابع من تقليد متواصل**

للقبالاه اليهودية. والباحثون اليهود لم يخونوا العلمية فقط، ولكنهم ساهموا أيضًا في نمو النظير اليهودى للنازية الألمانية.

إن أيديولوچية الحاخامين كوك هى أيديولوچية غيبية، «أى تؤمن بالغيبيات» ومسيانية، وهى تشبه فى هذا الخصوص المذاهب اليهودية الدينية السابقة، وكذلك الاتجاهات المماثلة فى المسيحية والإسلام.

وتفترض هذه الأيديولوچية الأصولية أن المسيح على وشك القدوم وتؤكد على أن اليهود، بمساعدة الله، سوف ينتصرون على غير اليهود ويحكمونهم للأبد (**وهذا، كما يدعون، خير لغير اليهود**). وكل التطورات السياسية الجارية إما أن تعجل بحدوث ذلك أو تؤجله. فالآثام اليهودية، وخاصة ضعف الإيمان، يمكن أن تؤدى إلى تأجيل قدوم المسيح. ومع ذلك، فإن التأخير لن يكون طويلاً؛ لأن أكثر الآثام اليهودية إمعانًا فى الشر ليس فى استطاعتها تغيير مسار الخلاص. ومع ذلك، فإن الآثام يمكنها أن تزيد من معاناة اليهود قبل الخلاص، والحربان العالميتان والهولوكوست وأحداث مأساوية أخرى فى التاريخ المعاصر هى أمثلة للعقاب. **ولم يخف الحاخام كوك الأكبر سعادته بمن ماتوا فى الحرب العالمية الأولى، ويفسر ذلك قائلاً: إن فقد الأرواح ضرورى «من أجل بداية تحطيم قوة الشيطان»**. وقام أتباع الحاخام كوك بشرح تفصيلى عميق لهذه التفسيرات، وعلى سبيل المثال زعم الحاخام دوف ليور وهو أشهر حاخامات المجلس الحاخامى لجماعة جوش إمونيم والذى أشرنا إليه من قبل، والحاخام كريات أربع، **أن فشل**

إسرائيل فى غـزوها للبنان عام ١٩٨٢م يرجع إلى نقص الإيمـان، وهو ما تبدى من خـلال توقيع معاهدة السـلام مع مصر وإعادة «مـيراث الأجداد «سيناء» إلى الأغراب».

إن التفسيرات التى قد تبدو لغير المعنيين بالموضوع غريبة وشاذة تكون فى بعض الأحيان هى الأكثر قبولاً بالنسبة لأتباع جماعة جوش إمونيم، ويحدث ذلك على وجه الخصوص حينما يؤمن هؤلاء الأتباع أن الخلاص على الأبواب، فهم يؤمنون بأن الشيطان، كما وصف فى القبالاه، منطقى (عقلانى) وله منطق منظم، ولذا فإن قوة الشيطان وأتباعه الأرضيين من غير اليهود، يمكن تحطيمها فى بعض الأحيان فقط من خلال عمل غير منطقى. **وعلى ذلك، قامت جوش إمونيم بإقامة مستوطنات فى نفس توقيت زيارة جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكى لإسرائيل، ليس فقط من أجل استعراض قوتها ولكن أيضًا كجزء من مخطط سرى لكسر شوكة الشيطان وصورته الأمريكية.**

وفيما مضى قامت جماعات يهودية دينية مختلفة، مثل جماعة المسيح الزائف شابتاى تسفى فى ١٦٦٥ و١٦٦٦م وكذلك الحسيدية المبكرة، باستخدام منطق مماثل، كما استخدمت حركات مسيحية وإسلامية معينة منطقًا مناظرًا فى بعض الأوقات.

لم يشتق واضعو أيديولوچيات جوش أمونيم، وخاصة الحاخام كوك الأكبر، أفكارهم فقط من التقاليد اليهودية ولكنهم أيضًا كانوا مبدعين. والكيفية التى قاموا بها بتطوير المفهوم الخاص بالمسيح هى خير دليل على

ذلك، فلقد تنبأ الكتاب المقدس بمسيح واحد فقط، أما التصوف اليهودى فقد تنبأ بمسيحين، فتبعًا للقبالاه تختلف شخصية كل مسيح منهما عن الآخر، فالمسيح الأول، وهو شخصية عسكرية يطلق عليه «ابن يوسف»، سوف يمهد الطريق للخلاص، أما المسيح الثانى الذى يكون شخصية روحية ويطلق عليه «ابن داود»، فهو الذى يخلص العالم من خلال صناعة المعجزات المرئية للناظرين، ويؤمن أتباع جوش إمونيم بأن المعجزات تحدث فى أزمنة مختلفة. وتشير القبالاه إلى أن المسيحين سوف يكونان فردين. أما الحاخام كوك الأكبر فإنه بدل هذه الفكرة من خلال توقعه والدفاع عن فكرة تقول «بأن المسيح الأول سوف يكون شخصية جماعية «أو أشخاصًا متعددين»(*)، ويطلق الحاخام كوك على مجموعة أتباعه اسم «أبناء يوسف». ويواصل زعماء جوش إمونيم، على طريق الحاخام كوك الأكبر، اعتبار حاخاماتهم، وربما كل الأتباع أيضًا، تجسيدًا على الأقل لأحد المسيحين المتنبأ بظهورهما. ويؤمن أعضاء جوش إمونيم بأن هذه الفكرة يجب ألا يكشف عنها للغرباء. **كما يؤمنون أيضًا بأن طائفتهم معصومة من الخطأ؛ بسبب الإرشاد الإلهى المعصوم الذى يقود خطاها.**

أما البدعة الثانية للحاخام كوك فهى تلك المتعلقة بعلاقة المسيح الأول باليهود الجهلة غير المؤمنين، علمانيين ومتدينين.

وقد اشتق الحاخام كوك هذا المفهوم من نبوءة الكتاب المقدس التى تقول إن المسيح «الآتى بالخلاص» سوف يكون راكبًا على جحش،

(*) يقصد شعب إسرائيل كله!

جحش ابن آتان: «ابتهجى جدًا يا ابنة صهيون اهتفى يا بنت أورشليم هو ذا ملكك يأتى إليك هو عادل ظافر، ولكنه وديع وراكب على آتان، على جحش ابن آتان» (زكريا ٩: ٩).

اعتبرت القبالاه هذه الآية دليلاً على وجود مسيحين أحدهما يركب على آتان والآخر على جحش. والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هنا: كيف يمكن للمسيح الجماعى (أى الذى هو عبارة عن مجموعة من الأشخاص) أن يركب على حمار واحد؟ أجاب كوك عن السؤال بالقول بأن الحمار هو اليهود الذين يفتقرون إلى الحكمة والإيمان الصحيح. وافترض كوك أن المسيح الجماعى سوف يمتطى هؤلاء اليهود، وهذا يعنى أن المسيح سوف يستغلهم من أجل مكاسب مادية وسوف يخلصهم إلى المدى الذى يمكن أن يخلصوا به، وفكرة الخلاص عبر الاتصال بشخصية روحانية قادرة كانت دائمًا موضوعًا شائعًا عبر كل أنواع حركات التصوف اليهودى. وهذا ينطبق ليس فقط على البشر وآثامهم ولكن أيضًا على الحيوانات والجماد. وفى إسرائيل، ما زالت هذه الفكرة تمثل جزءًا من التعليم الدينى. وتحتوى الكتب الشعبية للأطفال المتدينين على الكثير من القصص التى تعبر عن هذه النقطة، وإحدى القصص الأكثر شيوعًا تتحدث عن بطة برية فاضلة تم اصطيادها وذبحها وتحويلها إلى طبق شهى لكى يتناوله حاخام مقدس، فهذه البطة تعتبر قد تم تخليصها من خلال أكلها بواسطة رجل مقدس.

وبدعة جوش إمونيم فى هذا الصدد تتمثل فى تطبيق ذلك ليس فقط على اليهود غير المؤمنين الذين يتم تخليصهم على يد المسيح الجماعى، ولكن على كل الأجسام المادية (أى الجماد) من الدبابات إلى المال، فكل شىء يمكن تخليصه إذا لمسه أو عالجه اليهود، وخاصة اليهود المسيانيين. ويطبق أعضاء جوش إمونيم هذا المذهب على الصراع على الأرض المقدسة. فيزعمون أن ما يبدو فى ظاهره مصادرة للأرض المملوكة للعرب من أجل إقامة مستوطنات يهودية عليها، ليس عملاً من أعمال السرقة ولكنه تطهير لها من الخطيئة، ومن خلال هذا المنظور فإن الأرض يتم تخليصها من خلال نقلها من الدائرة الشيطانية إلى الدائرة الإلهية.

ويؤمن أتباع جوش إمونيم بأن طالما لديهم الحق فى الوصول للحقيقة الكاملة والوحيدة على نحو يفوق بقية اليهود فهم أفضل منهم، ويعتقد حاخامات جوش إمونيم فيما يلى بالنسبة للحمار المسيانى: نظرًا لرتبته المتواضعة فى ترتيب الكائنات، فإن الحمار يجب أن يظل غافلاً عن الهدف النبيل لراكبه الملهم. وهذا هو الحال على الرغم من أن الحمار يفوق راكبه فى الحجم والقوة، والراكب الإلهى فى هذا السياق يقود الحمار نحو خلاصه.

وبسبب هدفه النبيل، فإن الراكب يمكنه أن يركل الحمار أثناء الرحلة من أجل التأكد من أن الحمار لا ينحرف عن الدرب المقدر. وبنفس الطريقة يؤكد حاخامات جوش إمونيم أن هذه الطائفة المسيانية يجب عليها أن تعامل وتقود اليهود مثل الحمار، والذين أفسدتهم الحضارة

الغربية الشيطانية بعقلانيتها وديموقراطيتها، والذين يرفضون التخلى عن عاداتها البهيمية واعتناق الإيمان الحقيقى. ومن أجل ذلك فإن استخدام القوة أمر جائز إذا اقتضت الضرورة.

آخر بدع الحاخام كوك الأكبر هى تلك التى ساهمت بشكل حاسم فى الشعبية والنفوذ السياسى لأتباعه الأوائل وأتباعه اللاحقين فى جماعة جوش إمونيم. فخلال فترة الخلاص، تؤثر هذه البدعة على سلوك الشخص المختار فى علاقته بالاهتمامات العالمية وصلاته باليهود الآخرين وغير اليهود. فقال الحاخام كوك إن الشخص المختار يجب ألا يقف بمعزل عن العالم، كما كان يفعل اليهود فى الماضى. ومع إدراكهم أن الأشخاص الآخرين آثمون وذوو طبيعة شيطانية، يجب على المختارين أن يملأوا الفجوة التى تفصلهم عن الآخرين من خلال اندماجهم فى المجتمع. ومن خلال ذلك فقط يمكن للمختار أن تكون لديه الفرصة لتطهير الآخرين من خطاياهم. ويجب على المختار أن يقدم القدوة ويمارس نفوذًا سياسيًا ويوسع اتصالاته بالآخرين. أثر هذا المذهب إلى حد كبير فى سلوك المنتمين للحزب الدينى القومى، فبعد تأسيسها عام ١٩٧٤م، أعادت جماعة جوش إمونيم التأكيد على هذا المذهب على الرغم من الاستياء الجماهيرى الواسع. وعلى نحو يخالف ما كان يقوم به اليهود الأرثوذكس فى السابق، بدأ أتباع الحاخام كوك فى ارتداء ملابس اليهود العلمانيين وميّزوا أنفسهم فقط من خلال ارتداء غطاء الرأس اليهودى. وحتى اليوم فإنهم يرتدون الملابس على غرار

اليهود العلمانيين فى الخمسينيات، وفى مدارسهم أدخلوا أجزاء من المواد العلمانية فى مناهجهم، كما سمحوا لأبنائهم بالانخراط فى الجامعات الإسرائيلية العلمانية، كما قاموا أيضًا بتأسيس جامعة بار إلان ذات التوجه الدينى.

وعلى الرغم من قصر التدريس بها على اليهود المتدينين، سعت جماعة جوش إمونيم إلى توسيع نطاق الجامعة من أجل أن تدرس بها كل التخصصات الأكاديمية المعتادة. وأدى ذلك إلى إثارة سخط الحريديم، ونظروا إلى هذه المحاولات باشمئزاز باعتبارها تدخلاً فى نطاق الاتجاه نحو العلمانية، وأصر الحاخام كوك على أنه من واجب كل يهودى أن يقاتل وأن يستعد للقتال. وقام أعضاء الحزب الدينى القومى باتباع هذه التعاليم والإيمان بها. والكثير من أعضاء جوش إمونيم كانوا - ولا يزالون - ضباطًا فى وحدات مختارة من الجيش الإسرائيلى ونسبتهم فى هذه الوحدات فى تزايد مستمر. وقد اكتسب طلاب مدارس جوش إمونيم الدينية شهرة كبيرة بسبب قدراتهم القتالية الممتازة واستعدادهم الكبير للقتال وارتفاع معدل الضحايا بينهم خلال الغزو الإسرائيلى للبنان ورغبتهم فى قمع الفلسطينيين أثناء الانتفاضة.

اكتسبت جماعة جوش إمونيم تعاطفًا شعبيًا واسعًا بين صفوف المجتمع الإسرائيلى بسبب موقفها من الخدمة العسكرية، وهذا يتناقض بشكل حاد مع العداء الشعبى تجاه الحريديم بسبب تملصهم من الخدمة العسكرية. وأدى مذهب التطهير، المنسوب بواسطة الحاخامين كوك إلى

كل مشروع صهيونى، إلى المزيد من التعاطف الشعبى الواسع والمساندة لجوش إمونيم. وقام تال بالمقارنة بين النظرة الصهيونية الدينية للحاخام كوك الأصغر وجوش إمونيم من ناحية، ونظرة اليسار العلمانى من ناحية أخرى. فعرف تال النظرة الصهيونية الخاصة باليسار العلمانى باعتبارها شاعرية رومانسية، حيث إن العودة إلى الوطن والحياة فى حضن الطبيعة وتحقيق الإنجازات الزراعية والإبداعات العلمانية هى عناصرها الأساسية، وعلى الرغم من اعتراف الحاخامين كوك بأن نهج اليسار العلمانى يؤدى على نحو غير مقصود إلى التعجيل بقدوم المسيح المخلص، فقد أكدا على «الانتصارات العسكرية على الأرض المقدسة وعلى الدم اليهودى المراق على هذه الأرض».

ومضى الحاخام كوك الأصغر، إلى جانب زعماء جوش إمونيم الآخرين، إلى أبعد من ذلك، حسبما يقول تال، من خلال تعريف «**دولة إسرائيل على أنها مملكة إسرائيل، وبأن مملكة إسرائيل هى مملكة السماء على الأرض**»، ولا يزال أتباع الحاخام كوك يشيرون إلى إسرائيل على أنها «**السند الأرضى لعرش الله**». واستخدم إسرائيل هارئيل، أحد أبرز زعماء جوش إمونيم، هذا التعبير من أجل تحقيق مكسب سياسى فى عموده الأسبوعى بجريدة هاآرتس فى ١٢ سبتمبر ١٩٩٦م. ومن خلال الاستشهاد بإحدى الدراسات المبكرة للحاخام كوك الأكبر، كتب هارئيل: إن دولة إسرائيل كانت «**قاعدة العرش الإلهى فى هذا العالم**»، ولذلك فإنها يجب أن تكون مختلفة تمامًا عن الدول «التى تحدث

عنها لوك وروسو وآخرون» وبالنسبة لأناس مثل هارئيل، فإن القداسة الكاملة التى تغلف وتبرر كل ما تفعله إسرائيل داخل نطاق الألوهية هى المنار الهادى. وكتب تال يقول إنه من خلال هذا المنظور «فإن كل عمل وكل ظاهرة، بما فى ذلك العلمانية، سوف يأتى يوم عليها وقد جرفتها القداسة، والخلاص». **وليس من المستبعد أن يؤدى هذا النوع من القداسة إلى تفجير قنابل نووية من أجل القضاء على قوة الشيطان، وإقامة «قاعدة العرش الإلهى فى هذا العالم».**

عبر كثير من المحاور، واصل أعضاء جوش إمونيم والغالبية العظمى من أنصار الحزب الدينى القومى التشبه بالرواد الأوائل للصهيونية، وأدى ذلك إلى تمتعهم بشعبية طاغية، وساهموا فى ازدياد هذه الشعبية من خلال تقديم أنفسهم لغير المنتمين إليهم على أنهم خلفاء رواد العشرينيات والثلاثينيات الذين لا يزالون يمثلون نقطًا مضيئة فى الذاكرة اليهودية، ويثنى عليهم فى مناهج التعليم الإسرائيلية، وكما أشرنا من قبل، يواصل أعضاء جوش إمونيم، فيما عدا غطاء الرأس الصغير، اللبس والتصرف على غرار ما كان يفعل الرواد الأوّل. وتساهم الخلفية الأشكنازية لكلٍّ من الرواد الأوّل ومستوطنى جوش إمونيم فى تسهيل هذه المحاكاة، وكل حاخامات جوش إمونيم من الأشكناز، والمعايير الإسرائيلية المقبولة للتعليم الدينى، مسئولة إلى حد كبير عن عدم وجود يهود شرقيين بين صفوف حاخامات جوش إمونيم، وعلى الرغم من عدم رغبتهم فى الانضمام إلى الجماعة، فإن الكثير من اليهود الشرقيين

قاموا بمساندة جوش إمونيم وما زالوا يفعلون. وجمهور الليكود الانتخابى يواصل حتى اليوم دعمه لجوش إمونيم، وعلى النقيض فإن معظم أعضاء حزب العمل كانوا يساندون جوش إمونيم حتى نهاية السبعينيات، ولكنهم توقفوا عن ذلك بعد معارضة جوش إمونيم لاتفاقية السلام مع مصر، ومطالبتها بضم لبنان باعتبارها «جزءاً من ميراث الأجداد، قبائل آشر ونفتالى وزيبولون». **كما أثارت جوش إمونيم غضب الكثير من أنصار حزب العمل من خلال مواصلتها الدفاع عن سياسات مقاتلة متطرفة أخرى والمعارضة الشديدة لتحالف شارون عام ١٩٨٢م مع الكتائب اللبنانية المسيحية، والتى تعتبر بذلك وثنية.**

كان موقف جوش إمونيم فى عام ١٩٨٢م هو أن اليهود فى معاركهم واحتلالهم للأرض يجب أن يعتمدوا على معونة الله فقط. وأى تحالف مع غير اليهود يمكن أن يغضب الله ويؤدى إلى تخليه عنهم، وكانت هذه الأفكار غير مقبولة حتى من جانب صقور حزب العمل.

إن سياسات جوش إمونيم والحزب الدينى القومى يجب أن يتم فهمها فى سياق الأيديولوچية. فالأيديولوچية توضح تمامًا ما الذى يرغب هؤلاء الأعضاء فى تحقيقه. وللأسف فشلت الكتب المكتوبة بالإنجليزية فى مناقشة هذه الأيديولوچية على نحو كاف. وكتاب لوستيك المسمى «فى سبيل الأرض، وفى سبيل الله» الذى يناقش سلوك جوش إمونيم السياسى الظاهرى، خير مثال على ذلك. فقد اعتمد لوستيك إلى حد بعيد على كتابات هارولد فيش من أجل تحليل الأيديولوچية السياسية

لجماعة جوش إمونيم، فقام فيش، أستاذ الأدب الإنجليزى الذى لديه القليل من الخبرة فى التلمود والقبالاه، بكتابة مؤلفه فى مجمله للقرّاء الذين يتحدثون الإنجليزية، وركز بشكل جوهرى على الأصوليين المسيحيين فى الولايات المتحدة. كما اعتمد لوستيك أيضًا إلى حد ما على كتابات الحاخام مناحم كاشير. وكان كاشير من علماء التلمود ذوى المكانة العالية، وله مؤلفات بالعبرية كما أثر بدرجة كبيرة على أعضاء جوش إمونيم، ومؤلفاته المسيانية معروفة جيدًا للكثير من أعضاء جوش إمونيم وطلاب المدارس الدينية، واستشهد لوستيك بكاشير على نحو موجز مرتين فقط، وبعد ذلك قام بالتشويش على ما استشهد به، أما فى كتابنا فاعتمدنا أكثر على ما كتب كاشير وأفدنا أيضًا من مواد جوش إمونيم الأخرى.

يعيش نشطاء جوش إمونيم فى مجتمع متجانس بالضفة الغربية يسيطرون عليه. **وهذا المجتمع محمى من «التلوث» القادم من الأيديولوچيات المنافسة الكريهة. وخاصة تلك المنبثقة عن الثقافة الغربية، والتى أثرت إلى حد ما على الجانب العلمانى من المجتمع اليهودى الإسرائيلى.** وتتوافر بوضوح إمكانية قيام مجتمع جوش إمونيم المتجانس وأنصاره من الحزب الدينى القومى بزيادة قوته ونفوذه السياسى داخل المجتمع الإسرائيلى، وأيديولوچية الحاخامين كوك هى القوة الضاربة للحزب الدينى القومى وجوش إمونيم فى العمل السياسى. **والمعتقد السياسى الأساسى لجوش إمونيم يتمثل فى أن الشعب اليهودى هو شعب**

متفرد. ويشترك أعضاء جوش إمونيم فى هذا الاعتقاد مع كل اليهود الأرثوذكس، ولكنهم يفسرونه على نحو مختلف بعض الشىء. وقام لوستيك بمناقشة هذا الاعتقاد من خلال التركيز على إنكار جوش إمونيم لإحدى القضايا الصهيونية العلمانية الكلاسيكية، وقام بالإشارة على نحو صحيح إلى الافتراضين الأساسيين لهذه القضية، الأول وهو أن «الحياة اليهودية شوهت على المستويين الفردى والجماعى من خلال الوضع الغريب للشتات اليهودى»، ثانيًا: إنه فقط من خلال إجراء «عملية عودة إلى الوضع الطبيعى» عبر الهجرة إلى فلسطين وإقامة دولة يهودية يمكن لليهود أن يصبحوا أمة طبيعية. ومن خلال الاستشهاد بفيش، **ذكر لوستيك أن هذه الفكرة الكلاسيكية بالنسبة لجوش إمونيم هى «الوهم الأصلى للصهاينة العلمانيين»**.

إن حجة جوش إمونيم تتمثل فى أن الصهاينة العلمانيين يقيسون «الطبيعية» من خلال تطبيق معايير غير يهودية شيطانية، فالصهاينة العلمانيون يركزون على أمم معينة تعتبر «طبيعية»، ويؤكدون على أن غير اليهود فى هذه الأمم الطبيعية كانوا أكثر تقدمًا من معظم يهود الشتات، ولهذا، فإن الصهاينة العلمانيين يقولون بأن اليهود يجب أن يحاولوا محاكاة غير اليهود من خلال تحولهم إلى شعب «طبيعى» فى دولة «عادية». ورد جوش إمونيم على ذلك هو: **«إن اليهود ليسوا شعبًا عاديًا ولا يمكنهم أن يكونوا كذلك. فتفردهم الأبدى هو نتاج العهد الذى عاهدهم به الله فى جبل سيناء»**. وقام لوستيك بالمزيد من شرح موقف

جوش إمونيم من خلال الاستشهاد بكلمات أحد زعماء الجماعة وهو الحاخام آڤنيرى. **«بينما يطلب الله من الأمم العادية إطاعة قوانين العدالة والاستقامة البحتة، فإن هذه القوانين لا تنطبق على اليهود»**. وقام الحاخامات الحريديم غالبًا بالاستشهاد بهذه الفكرة فى كتاباتهم، ولكنهم يحتفظون بعواقبها الأكثر وضوحًا للعصر المسيانى القادم، وتؤيد الهالاخاه هذا التحفظ من خلال التمييز الدقيق بين الموقفين عند مناقشة قوانين العدالة والاستقامة. **فالهالاخاه تسمح لليهود بأن يسرقوا غير اليهود فى الأماكن التى يكون فيها اليهود أقوى من غير اليهود ،وتحرِّم الهالاخاه على اليهود سرقة غير اليهود فى الأماكن التى يكون فيها غير اليهود أقوى، ويستغنى أعضاء جوش إمونيم عن هذه الاحتياطات التقليدية من خلال الزعم بأن اليهود، على الأقل فى إسرائيل والأراضى المحتلة، يعيشون بالفعل فى بداية العصر المسيانى.**

فشل لوستيك فى التفسير الكافى لاعتبارات العصر المسيانى والفروق بين اليهود وغير اليهود.

وكانت معالجة هاركابى أفضل. فعند مناقشة تعاليم الهالاخاه وموقف جوش إمونيم المتصل بالقتل، **شرح هاركابى أن قتل اليهودى، وخاصة من خلال غير اليهودى هو فى نظر الشريعة اليهودية أسوأ جريمة يمكن أن ترتكب، واستشهد فى ذلك بزعيم جوش إمونيم، الحاخام إسرائيل آرييل، وبناء على ميثاق الميمونيين (أتباع ميمون) وعلى الهالاخاه، قال الحاخام آرييل: «إن اليهودى الذى يقتل غير يهودى يعفى**

من حكم الإنسان عليه ويعتبر كأنه لم ينتهك الحظر (الدينى) للقتل».
وأشار هاركابى أيضًا إلى أنه يجب تذكر ذلك حينما «تكون هناك مطالبة بأن يعامل كل المواطنين غير اليهود للدولة اليهودية تبعًا لمبادئ الهالاخاه» ويكرر حاخامات جوش إمونيم دائمًا القول بأن اليهود الذين يقتلون العرب يجب ألا يعاقبوا، وأعضاء جوش إمونيم لا يقومون فقط بمساعدة أولئك اليهود الذين عوقبوا من خلال المحاكم العلمانية الإسرائيلية، ولكنهم يرفضون أيضًا إطلاق لقب «قتلة» عليهم، ويتبع ذلك منطقيًا أن يحرم المستوطنون المتدينون وأتباعهم «إراقة الدم اليهودى»، ولكنهم يبدون القليل من الاهتمام «بإراقة الدم غير اليهودى» وعلى ذلك فإن تأثير جوش إمونيم على السياسات الإسرائيلية يمكن أن يقاس من خلال الحقيقة القائلة بأن سياسة الحكومة الإسرائيلية فى هذا الموضوع تعكس بوضوح موقف جوش إمونيم. وقد رفضت الحكومة الإسرائيلية فى ظل كلٍّ من زعامتى العمل والليكود الإفراج عن السجناء الفلسطينيين «الذين قاموا بعمليات فدائية ضد اليهود» ولكنها لم تتردد فى الإفراج عن السجناء اليهود «الملطخة أيديهم بدماء غير اليهود الفلسطينيين».

وهناك أثر عملى آخر ملموس لهذه المواقف يتمثل فى تأثير جوش إمونيم على مسلك الحكومة الإسرائيلية فى كل الأمور المتصلة بالأراضى المحتلة، فتواصل جوش إمونيم تشجيع السلطات الإسرائيلية على معاملة الفلسطينيين معاملة وحشية فى الضفة الغربية وقطاع غزة، ورفض كل من رابين وبيريز ونتنياهو أثناء رئاستهم للوزارة تأييد إخلاء ولو حتى

مستوطنة واحدة، يرجع بشكل أساسى إلى نفوذ جوش إمونيم، فتأثير جوش إمونيم على كل الحكومات الإسرائيلية والزعماء السياسيين من مختلف الاتجاهات بالغ الأهمية.

وموقف جوش إمونيم من الفلسطينيين، الذين يشار إليهم باسم «العرب الذين يعيشون فى إسرائيل» هو موقف مهم، وتجنب لوستيك غالبًا مناقشة هذا الموضوع، وتعامل هاركابى معه بأمانة من خلال الاستشهاد على نحو واسع بتصريحات الحاخامات تسفى يهودا كوك وشلومو آفنيرى وآرييل. وقد نظر كوك وآفنيرى وآرييل إلى العرب الذين يعيشون فى إسرائيل على أنهم لصوص، وكونوا هذا الرأى بناء على القول بأن كل أرض إسرائيل كانت وستظل يهودية، وأن كل الممتلكات الموجودة فيها تنتمى لليهود.

وعبر هاركابى، الذى علم بذلك أثناء إعداده لكتابه، عن صدمته بقوله «إننى لم أتخيل أبدًا أن الإسرائيليين يفسرون مفهوم الحق التاريخى على هذا النحو». وأورد هاركابى فى فصول كتابه العديد من التطبيقات لهذا المذهب وما يتصل به. كما أشار أيضًا إلى أن سيناء ولبنان الحالية بالنسبة لجوش أمونيم هى أجزاء من الأراضى اليهودية ويجب تحريرها.

وقام الحاخام آرييل بنشر أطلس يحدد كل الأراضى التى كانت يهودية، والتى تحتاج إلى التحرير. واشتمل على كل المناطق الواقعة غرب وجنوب نهر الفرات والتى تمتد حتى الكويت. واستشهد هاركابى بقول الحاخام آفنيرى: «إننا يجب أن نعيش فى هذه الأرض حتى

بالحرب. علاوة على ذلك، حتى لو كان هناك سلام، فإننا يجب أن نشعل حروب التحرير من أجل غزو هذه الأرض». وليس من المستبعد افتراض أن جوش إمونيم إذا امتلكت السلطة والوسيلة فإنها سوف تستخدم الأسلحة النووية من أجل محاولة تحقيق هدفها.

وبالنسبة لجوش إمونيم، أوضح هاركابى ولوستيك على نحو غير مباشر، أن تدنى منزلة غير اليهود الذين يعيشون فى إسرائيل، تلك المنزلة التى حكم بها الله عليهم، يمتد إلى فئات أخرى غير الحياة والممتلكات. وقامت جوش إمونيم بوضع سياسة خارجية لكى تتبناها دولة إسرائيل. وهذه السياسة تفترض أن العداء العربى لليهود هو عداء لاهوتى فى طبيعته كما أنه عداء فطرى متأصل، والنتيجة التى تم التوصل إليها هى أن الصراع العربى ـ الإسرائيلى لا يمكن حله سياسيًا. وهذه النتيجة مدعمة من خلال استشهاد لوستيك بتصريحات إليعازر وولدمان، أحد زعماء جوش إمونيم البارزين وعضو الكنيست السابق: «إن العداء العربى ينبثق، مثل كل الحركات المعادية للسامية، من التجرد العالمى على أن يقوم اليهود بتخليصهم» (ص ٧٧ ـ ٧٩)، ويستشهد لوستيك أيضًا بزعماء آخرين لجوش إمونيم، والذين رفضوا على نحو قاطع الدخول فى أى اتفاقيات سياسية مع السكان غير اليهود لأرض إسرائيل الذين يقاومون اكتمال السيادة اليهودية على كامل الأرض»، كما استشهد لوستيك أيضًا بكلمات فيش الذى قال: «إن المقاومة العربية يجب أن تنسب إلى سعى العرب نحو «تحقيق رغبتهم فى التخلص الجماعى منهم».

وعلى نحو روتينى يقوم حاخامات جوش أمونيم وسياسيوها وواضعو أيديولوچياتها بالمقارنة بين الفلسطينيين والكنعانيين القدماء، الذين كان استئصالهم أو طردهم بواسطة الإسرائيليين القدماء، تبعًا للكتاب المقدس، أمرًا إلهيًا مقررًا سلفًا، وهذه الإبادة الجماعية الواردة فى الكتاب المقدس تصنع تعاطفًا كبيرًا مع جوش إمونيم عبر الكثير من الأصوليين المسيحيين الذين يتوقعون أن نهاية العالم سوف تسبقها مذابح ودمار.

وأرادت جوش إمونيم دائمًا من البداية طرد أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين. وأعمال الفلسطينيين الإرهابية تسمح لمتحدثى جوش إمونيم بإخفاء رغبتهم الحقيقية فى الطرد الجماعى للفلسطينيين من خلال القول بأن هذا الطرد تفرضه فقط احتياجات الأمن.

كما قام هاركابى بالاستشهاد بآراء موردخاى نيسان المحاضر بالجامعة العبرية بالقدس، والتى نشرت فى عدد أغسطس ١٩٨٤م من مجلة «كيڤونيم»، وهى إحدى المنشورات الرسمية للمنظمة الصهيونية العالمية (ص ١٥١ ـ ١٥٦) وتبعًا لما يقول نيسان، الذى اعتمد على أقوال ميمون «إن غير اليهودى الذى سمح له بالإقامة فى أرض إسرائيل «يجب أن يقبل دفع الجزية وأن يعانى ذل العبودية»، وعلى نحو يتوافق مع النص الدينى لأتباع ميمون يقول نيسان تبعًا لهاركابى، بأن «غير اليهودى يجب أن يتم إخضاعه وألا يسمح له برفع رأسه أمام اليهود»، ويقول هاركابى أيضًا نقلاً عن نيسان بأن: «غير اليهود يجب ألا يعينوا فى منصب أو تكون لهم أية منزلة تحقق لهم سلطة على اليهود، فإذا رفضوا المعيشة فى

هذه الحياة المتدنية، فإن هذا يشير إلى تمردهم، وبالتالى إلى ضرورة شن الحرب ضد وجودهم فى أرض إسرائيل»

وهذه الآراء المتعلقة بغير اليهود، والمنشورة فى مطبوعة رسمية للمنظمة الصهيونية العالمية، **تشبه الذرائع النازية ضد اليهود**، ويعلق هاركابى على ذلك بالقول: «إننى لا أعلم كم من اليهود يشاركون نيسان معتقداته، ولكن نشر المقال فى مطبوعة صهيونية رائدة يدعو إلى إثارة القلق على نحو خطير».

إن الأمثلة الثلاثة الآتية لثلاثة مقالات ظهرت فى الصحف الناطقة بالعبرية، تقدم تحليلات إضافية لمواقف الحزب الدينى القومى وجوش إمونيم، ويتعامل أحد هذه المقالات مع المجموعة الأكثر تطرفًا داخل جماعة جوش إمونيم، والتى تسمى إمونيم أو «المؤمنين».

فبعد أن تكونت بعد تأسيس حكومة رابين ١٩٩٢م، قاد مجموعة إمونيم الحاخام بنى آلون، ابن مناحم آلون نائب رئيس المحكمة الإسرائيلية العليا السابق. وصرح الحاخام آلون، حسبما قال ناداف شراجاى فى مقاله المنشور بصحيفة هاآرتس فى ١٨ سبتمبر ١٩٩٢م: «**إن وسيلة منتصف السبعينيات لم تعد تصلح للعمل فى ظل حكومة يتحدد سلوكها الأخلاقى من خلال حزب ميرتس، وتمتلئ عقول وقلوب أعضائها بالازدراء لكل أرض إسرائيل ولليهودية، كما أنهم لا يريدون فقط إقامة دولة فلسطينية خالية من اليهود فى قلب إسرائيل، ولكنهم**

يريدون أيضًا إنشاء دولة علمانية ديموقراطية بدلاً من دولة إسرائيل اليهودية، وهذه الحكومة متعفنة روحيًا».

بعد ذلك قام الحاخام آلون بالمقارنة بين زعماء حكومة ١٩٩٢م وزعماء العمل فى منتصف الثمانينيات وما قبلها، الذين «كانوا يشعرون بما يشعر به اليهود ذوو القلوب الرحيمة»، لذلك كانوا يستجيبون لضغوط جوش إمونيم، وواصل آلون القول «ولكنك لا تستطيع تطبيق نفس الوسائل مع أشخاص على شاكلة ديدى تسوكر «عضو الكنيست عن ميرتس» أو موشى أميراف «عضو حزب ميرتس» الذى يتعاون مع أعدائنا». وعند إعداده للمقال الذى نشر بجريدة «معاريف» بتاريخ ١٨ سبتمبر ١٩٩٢م، قام الصحفى آفى راتس بتوجيه الأسئلة لآلون واستكشاف تكتيكات إمونيم:

تريد إمونيم حجب الثقة عن رابين «الذى أصبح رئيسًا للوزراء» من خلال إجباره على الاعتماد (من أجل الحصول على الأغلبية فى الكنيست) على أعضاء الأحزاب العربية، وبذلك يتم تدمير شرعية حكومته. وقام رابين وبيريز بتقديم تنازلات ولكنهما لم يصرا على توسيع المستوطنات اليهودية، وقام راتس فى مقاله بالاستشهاد بعبارات أخرى لآلون: «من المنظور الدينى الروحانى، فإن رفائيل إيتان - مخطئ ويجب أن ينتقد حينما يبرر المستوطنات اليهودية على أساس المساهمة فى أمن إسرائيل، فالاعتبارات الأمنية التى فى صالح المستوطنات ليست هى محور الموضوع. ففى رأيى أن السياسة تعتمد على الروحانية، فالجسد السياسى يحتاج إلى روح. **وأمن إسرائيل وحتى بقاء الأمة اليهودية ليس**

إلا أبعادًا مادية للعمق الروحى اليهودى، وعندما نقول بأننا يجب أن نحول دون قيام دولة فلسطينية من أجل إنقاذ الدولة اليهودية من الانقراض، فإننا لا نتحدث عن أشياء روحية».

وكما أشار راتس: «عبر إيمانهم الروحى العميق، قام آلون ومساعدوه بالتوجه إلى الولايات المتحدة فى زيارة استغرقت خمسة أيام من أجل أن يطلبوا من الأصوليين المسيحيين دعم أنشطتهم ماليًا»، ونجح آلون ومساعدوه فى الحصول على بعض هذه المعونة، **وعلى الرغم من أنهم كأصوليين يهود يمقتون غير اليهود، فقد أبرموا تحالفًا روحيًا مع المسيحيين الذين يؤمنون بأن مساندة الأصولية اليهودية ضرورية من أجل مساندة العودة الثانية للمسيح، وهذا التحالف أصبح عاملاً جوهريًا فى كل من سياستى التعامل مع أمريكا ومع الشرق الأوسط.**

المثال الثانى يتعلق بسياسات جوش إمونيم نفسها فى ظل حكومة العمل وميرتس فى التسعينيات، ففى مقاله المنشور فى ٥ أكتوبر ١٩٩٢م بجريدة هاآرتس، قام دانى روبنشتين بالاستشهاد بتصريحات زعماء جوش إمونيم الذين يؤمنون بأن هدف سياسات رابين هو «استئصال المستوطنات اليهودية فى الأراضى المحتلة من جذورها وتدمير كل المنجزات الصهيونية» وميَّز روبنشتين على نحو دقيق بين مستوطنى مرتفعات الجولان العلمانيين ومستوطنى جوش إمونيم، فمستوطنو مرتفعات الجولان يزعمون أن سياسات رابين كانت خاطئة؛ لأن السلام مع سوريا يمكن الوصول إليه حسب الشروط الإسرائيلية، وتزعم جوش

إمونيم أن مفاوضات واشنطن مع منظمة التحرير الفلسطينية لا تخرج عن كونها حوارًا بين بشر وقطيع من الذئاب المفترسة الراغبة فقط فى تحويل أراضى إسرائيل إلى أرض للعرب، وهذا لا يعنى أن جوش إمونيم امتنعت عن أخذ المال لأغراضها الخاصة من الحكومة التى تتفاوض «مع قطيع الذئاب المفترسة».

وفى مقاله المنشور فى ١٤ أكتوبر ١٩٩٢م، بجريدة هاآرتس، قام ناداف شراجاى بمناقشة إحدى الندوات التى نظمتها ورعتها وزارة الشئون الدينية بالتعاون مع وزارة التعليم، ورأستها شولاميت آلونى، كان موضوع الندوة «هل من الممكن استغلال الأغراب المقيمين فى الأرض المقدسة؟». وتبعًا لجورين فإن الهالاخاه تعتبر إنكار اليهودية أخطر الآثام اليهودية، **وحث اليهود المتقين على قتل هؤلاء الكفرة الذين ينكرون اليهودية**، وأشار إلى أن محاولة اغتيال رابين يمكن أن تحدث لأسباب دينية. وأضاف جورين أيضًا أن اليهودية تحرِّم **«منح أى حقوق قومية لأى جماعة من الغرباء فى أرض إسرائيل»**. وأنكر جورين أيضًا وجود أمة فلسطينية كما أكد على أن: «اختفى الفلسطينيون فى القرن الثانى قبل الميلاد، ولم أسمع عن بعثهم من الموت». وطمأن جورين جمهوره، ولم يمنعه انتشار الكفر من ذلك، بأن «عملية الخلاص، التى تجرى بالفعل طوال مائة عام، لا يمكن أن تعود إلى الوراء حيث تحيطنا العناية الإلهية طول الوقت»، **واتفق مشارك آخر فى الندوة وهو الحاخام**

آفنيرى، مع جورين فى أن اليهودية تحرِّم منح أى استقلال حتى لو كان ضئيلاً للفلسطينيين.

وقام الحاخام زالمان ميلاميد، رئيس لجنة حاخامات يهودا والسامرة وغزة بتوضيح نفس النقطة بقوله: «ليس هناك أى خلاف بين الحاخامات على أنه من الطبيعى أن يسكن أرض إسرائيل اليهود فقط».

وقام الحاخام شلومو مين هائار بالتوسع فى هذا الزعم لكى ينطبق على المسلمين والمسيحيين من خلال القول بأن: «العالم الإسلامى بأكمله عبارة عن مستودعات نقود (money- grabbing) خربة وحقيرة وعاجزة عن فعل أى شىء، وكل المسيحيين بلا استثناء يكرهون اليهود ويتطلعون إلى موتهم».

تحمل دافعو الضرائب الإسرائيليون، بمن فيهم العرب مسلمون ومسيحيون، تكاليف هذه الندوة، التى تفوه فيها الزعماء الدينيون بهذه المزاعم، وقد وافق عليها رابين رئيس الوزراء ووزيرا الشئون الدينية والتعليم ولم يوجهوا أى نقد علنى للآراء التى جاءت فيها. وموافقة رابين يمكن فهمها على أنها جزء من تشجيعه المقصود للبرامج السياسية، بصرف النظر عن رأيه فيها. ويمكن فهم موافقة آلونى وزيرة التعليم على أنها مجرد علامة أخرى على ضعفها وإهمالها وغبائها، وقام كلٌّ من رابين وآلونى بزيارة ألمانيا قبل وقت قصير من هذه الندوة، وأدانا علنًا وعلى نحو غاضب «كره الألمان للأجانب»، وتجنبا بحرص الإشارة إلى أى عبارات عنصرية أو أى توصيات قدمها الحاخامات فى إسرائيل عن

الطريقة التى يجب معاملة الأجانب بها، كما أنهما لم يشيرا إلى، ناهيك عن إدانة، دفاع ميلاميد عن طرد غير اليهود من أرض إسرائيل، وهو الأمر الذى كان يمكن أن يكمل إدانتهما للخوف الألمانى المرضى من الأجانب.

المثال الثالث، والمأخوذ أيضًا من الصحافة العبرية، مشتق من كتاب للردود نشر عام ١٩٩٠م. والكتاب المعنون باسم «ردود الانتفاضة» والمكتوب بواسطة أحد أبرز حاخامات جوش إمونيم، وهو الحاخام شلومو آفنيرى، يقدم فى لغة عبرية واضحة إجابات من الهالاخاه على تساؤلات خاصة بما يجب على اليهود المتقين عمله بالنسبة للفلسطينيين أثناء المواقف الشبيهة بالانتفاضة، وينقسم الكتاب إلى فصول موجزة تحتوى على إجابات على الأسئلة. والإجابات لا علاقة لها بالقانون الإسرائيلى، والأسئلة فى الفصلين الأولين (ص١٩ ـ ٢٢) تمثل جوهر الأسئلة والإجابات الواردة بالكتاب. والسؤال النموذجى الأول بالفصل الأول يقول: «هل هناك فرق بين عقاب الطفل العربى والشخص العربى الراشد بسبب إقلاق سلامنا؟» وتبدأ الإجابة بتحذير الأشخاص غير المطلعين على الهالاخاه من أنه لا تجوز المقارنة بين الأطفال القصر اليهود وأطفال الأغيار:

«كما هو معروف، ليس هناك أى عقاب شرعى يمكن إنزاله بالأطفال اليهود أقل من ١٣ عامًا، والفتيات اليهوديات أقل من ١٢ عامًا . . **وكتب ميمون أن هذه القاعدة تنطبق على اليهود فقط. ولا تنطبق على أى شخص غير يهودى، وعلى ذلك، فإن أى شخص غير يهودى، مهما كان**

عمره، يجب أن يدفع ثمن أية جريمة يقترفها» وتوصل آڤنيرى إلى أن مسألة تحديد ما إذا كان الطفل غير اليهودى يجب أن يعتبر راشداً أم لا، تعتمد على ما إذا كان الطفل حتى لو كان أصغر من ١٣ عامًا، لديه الفهم الكافى أم لا، وتبعًا لما كتبه آڤنيرى فى كتابه، فإن أى يهودى يمكنه أن يقرر ما إذا كان الطفل غير اليهودى يمكن اعتباره ومعاقبته على أنه شخص كبير أم لا.

والسؤال النموذجى الثانى هو: «ما الذى يجب عمله إذا كان الطفل العربى يهدف إلى تهديد حياة يهودى؟». وأشار الحاخام آڤنيرى إلى أن كل الإجابات المقدمة تتعامل فقط مع الارتكاب الفعلى للجرائم من خلال الأطفال غير اليهود، وأكد فى إجابته **أنه إذا كان الطفل غير اليهودى يهدف إلى ارتكاب جريمة قتل، على سبيل المثال، من خلال إلقاء حجر على سيارة مارة، فإن هذا الطفل يجب أن يعتبر «مضطهداً لليهود»، ويجب أن يقتل. ومن خلال الاستشهاد بميمون باعتباره حجته الدينية، ذكر آڤنيرى أن قتل الطفل غير اليهودى فى هذه الحالة ضرورى لإنقاذ حياة يهودية.**

وفى الفصل الثانى من هذا الكتاب وضع الحاخام آڤنيرى وأجاب على سؤال واحد: **«هل تجيز الهالاخاه إنزال عقوبة الموت بالعرب الذين يلقون بالحجارة؟» وقالت إجابته: إن إنزال هذا العقاب ليس جائزاً فقط ولكنه إجبارى، ومع ذلك فإن هذه العقوبة ليست قاصرة على إلقاء الحجارة، ولكنها يمكن أن تطبق لأسباب أخرى. وأكد آڤنيرى على أن المحكمة**

الحاخامية أو ملك إسرائيل «لديهما سلطة معاقبة أى شخص بالموت إذا اعتقدا أن ذلك يمكن أن يجعل العالم أفضل».

كما يمكن للمحكمة الحاخامية أو ملك إسرائيل معاقبة غير اليهود واليهود الأشرار من خلال ضربهم بلا رحمة أو سجنهم فى ظل ظروف بالغة القسوة أو تعريضهم لمعاناة أكثر تطرفًا. وقال المتحدثون باسم جوش إمونيم بأن هذه السلطة الخاصة بالمحكمة الحاخامية وملك إسرائيل يمكن أن تفوض إلى الحكومة الإسرائيلية على شرط أن تطيع الحكومة القواعد الدينية الصحيحة.

والعقوبات المذكورة هنا يجب أن تطبق إذا رأت السلطات أن ذلك سوف يردع الأشرار الآخرين، وأوضح آڤنيرى تفضيله لإنزال عقوبة الموت أو الجلد العنيف بأى شخص غير يهودى يرى أنه مذنب فى جريمة إلقاء الحجارة على اليهود.

والمناقشة فى هذا الفصل يجب أن تفرق بين تركيبة جوش إمونيم ـ الحزب الدينى القومى ـ والتركيبة الحريدية للأصولية اليهودية. ومن الواضح أن الخطر الأكبر المحتمل هو ذلك المتمثل فى جوش إمونيم والحزب الدينى القومى؛ لأن أعضاءهما تغلغلوا فى الدولة من أجل تطهير إسرائيل حسب زعمهم.

***